الفصل الثاني

obeikandl.com

الطاغوت

وبتدقيق النظر في هذه الأقوال يتضح لنا أن معنى الطاغوت في الشريعة الإسلامية يدور حول المعاني التالية :

١ ــ الشيطان : ذلك أن الشيطان كفر بربه وتوعد الإنسان بالغواية والضلال .

٢ ــ الكهان والعرافون والسحرة ومن يدور في فلكهم ممن يدّعون علم الغيب .

٣ ــ كل ما يُعبد من دون الله من صنم أو شجر أو بشر أو حيوان .

٤ ــ الحاكم الجائر المتعدي على دين الله في شرعه، والذي يحكم بغير ما أنزل الله .

٥ ــ كل منهج أو تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يتفق وشريعة الإسلام .

٦ ــ من رضي بالطاغوت وركن إليه ، ودعا إلى عبادته ، أو التزم ما دعا إليه الطاغوت من ضلالاته

الطاغية والطاغوت

عرفنا مما سبق أن الطاغوت هو الذي تجاوز الحد في الطغيان فتعدى على شرع الله في الأرض ، فجعل نفسه نداً لله ، أو اتخذه الناس رباً من دون الله على غير فقه منه أو علم إذا كان مما لا يعقل ،أو بعلم منه وكيد من نفسه إذا كان ممن يعقل ، فكل من يتجاوز الحق أو يجور عليه ويتجاوز الحد ، فهو طاغوت .

أما الطاغية فهو الجبار العنيد ، والأحمق المستكبر الظالم ، الذي لا يبالي ما أتى ، يأكل أموال الناس ويقهرهم، لا يثنيه تحرج ولا فَرَقَ.

فالطاغية ظالم غشوم قد يأخذ على الشبهة ، ويغمط حق الناس ، ويقهرهم بالتسلط والتجبر ، ويتكبر عليهم ، ولا يهتم بما آل إليه أمرهم .

والطاغية الغشوم لا يحزن لآلام الناس ، ولا يرق لحالهم ، ولا يرفق بهم ، ولا يشفق عليهم ، يشهر سيفه في وجوههم ويسلطه على رقابهم .

والفرق بين الطاغية والطاغوت واضح بيّن .

فالطاغية لا يأمر الناس بعبادته ، ولا يدعوهم إليها ، ولا يتخذ نفسه نداً لله ، ولكنه يظلم الرعية ، ويقسو على الأمة ، ومع ذلك لا يغير منهج الله ولا يبدله بغيره .

نعم ، قد يحكم بالهوى ، وقد يقضي بالباطل ، ولكنه يقر إما في نفسه ، أو أمام خاصته ، بأنه خالف حكم الله فيما به حكم ، وإنه مذنب مقصر ، وما دفعه إلى ذلك إلا سطوة الحكم ، وتحكم الهوى في نفسه .

وقد عرفت الأمة الإسلامية كثيراً من الطغاة ، أذاقوا الأمة الويل والثبور ،

وحصدوا الرؤوس ، وألجموا الأفواه ، وأقاموا قصورهم على جماجم العباد ، وجمعوا ثرواتهم من عرق الناس وكدحهم .

وكان هؤلاء الطغاة يصلون خمسهم ويصومون شهرهم ، ويظنون أن ذلك مانعهم من عذاب الله ، يوم يأخذهم بما أضاعوا من حقوق الرعية ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » وكان الخلفاء رضي الله عنهم ، ينتحبون فَرَقاً أن يكونوا قد ضيعوا شيئاً من حقوق رعيتهم .

ولقد ابتليت الأمة في العصر الحديث بطغاة لا تعريف لهم في قواميس اللغة عند القدماء ، فقد تلبسوا المكر والدهاء ، وتزينوا بالكذب والخداع ، ونمقوا كلامهم بالألفاظ ذات المفاهيم الجوفاء ، فقتلوا الحرية في روح الأمة باسم الحرية ، ورفعوا راية الجاهلية خفاقة باسم الحضارة والعلم والعصرية ، ونكسوا أعلام الهداية والدين تحت شعار الرجعية والتأخر ، حتى نطق إعلامهم ـ وأخرسه الله من إعلام جاهلي ـ فقال : بأن الله والرسل والأديان دُمى في متاحف التاريخ.[1]

هؤلاء الطغاة الذين جبنوا أمام عدوهم ، واستأسدوا على شعوبهم ، هؤلاء الذين أذاقوا الأمة الذلة والمهانة فراحوا يمرغون جباههم في أوحال اليهودية والصهيونية بكل الذلة والانكسار ، بدعاوى باطلة قالوا عنها : السلام .

هؤلاء هم الطغاة فإن جمعوا إلى ما ذكرناه الكفر والفسوق والعصيان كانوا طواغيتاً يجب قتالهم ، واجتثاث شرورهم من الأرض ، فإن أقاموا الصلاة وتمسكوا بظاهر الشرع ، فلا قتال علينا ضدهم .

والحاكم إذا كان مسلماً ملتزماً بالإسلام في نفسه ومنهاجه وحكمه ودواوينه وإدارته ، وخضع لشريعة الله خضوعاً مطلقاً ، وعمل على إعلاء شأنها ، ورفع

---

(١) مجلة جيش الشعب ١٩٦٤ .

رايتها ، وكان ممن قال الله فيه : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ .[1]

إذا كان الحاكم على هذه الصفة ، وتلك السيرة له علينا حق السمع والطاعة والنصرة والتأييد في المنشط والمكره ، وفي اليسر والعسر ، ندافع عنه ونحميه ، ونقاتل دونه ، ونؤثره على النفس والمال والولد لقوله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني »[2] .

وقد يكون الحاكم من المسلمين ولكنه تظاهر بالفسق ، وعُرف بالظلم ، واشتهر باضطهاد الناس وقهرهم ، واستخدم غير المؤهلين للعمل ، أو غير المسلمين ، ولكنه ملتزم بإقامة الصلاة ، متظاهر بها ، لا ينهى عنها ولا عن شيء من شريعة الإسلام ، ويعترف لله بحق التشريع والحاكمية ، فهذا لا نحاربه مادام يلتزم بالصلاة ويؤديها ، وذلك للحديث الذي رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قلنا يا رسول الله ! أفلاننا بذهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، إلا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يده من طاعة »[3] .

فمثل هذا الحاكم لا نشهر السيف في وجهه قتالاً ، ولا نطيعه في معصية الله ، ولكننا نجاهده بألسنتنا بالاحتجاج على أعماله ، والنصيحة له في ذاته ، حتى

---

(١) سورة الحج آية ٤١ .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) حديث رواه أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري .

يرجع إلى ربه ، ويثوب إلى رشده ، ويعدل عن غيه وظلمه « فإن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[1] ولا نأتي أبواب مثل هذا الحاكم إلا لأداء النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلينا أن نشعرهم بعزلتهم وهوانهم ، وأنهم لا يستحقون تقديراً ولا إكراماً بسبب ماهم فيه من ظلم وفسوق ، وعلينا أن نلهب الرأي العام ضد تصرفاتهم ، حتى يكثر في الأمة من يسمعهم كلمة الحق ، ويصدهم عن الظلم فيرتدعوا وينتهوا عن ظلمهم وفسقهم .

أما إذا كان الحاكم من الكافرين ، أو ممن يتسمون بأسماء المسلمين وقد ارتد عن دينه ، ورفض شريعة ربه ، وأعلن الحكم بما يمليه عليه عدوه ، أو بما يهديه إليه هواه ونفسه ، فإنه عند ذلك يكون كافراً طاغوتاً لا يسكت له على أمر ، ويجب على المسلمين أن يعملوا جماعات وأفرادا على قتاله والتخلص منه .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2] .

فالحاكم الجائر المغير لشريعة الله ، الذي استبدلها بغيرها ، أو استهان بها واستهجنها يُقاتل حتى يقضى عليه ، ويُتخلص منه ، ويعود للإسلام وشريعته حقه في الحكم والتشريع .

---

(١) حديث رواه أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري .

(٢) حديث صحيح ، رواه مسلم برقم ٨٠.

يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب :

« من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات والصيام والزكاة أو الحج ، أو ترك المحرمات كالزنا أو تحريم الدماء والأموال أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك ، أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام ، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين ، وملتزمين بعض شرائع الإسلام ، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف ، الصحابة فمن بعدهم ، وأن ذلك عمل بالكتاب والسنة » .[1]

---

(١) الجامع الفريد ص ٢٩٩ من رسالة الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة .

obeikandl.com

الطاغوت بين الكفر والإيمان

أُثير جدل في العصر الحديث حول الطاغوت ، وهل هو كافر أم مؤمن ؟ وهل ينحصر الكفر فيما يدعو إليه فقط ، أم يتعداه إلى نفسه ، فيوصف بالكفر هو وما يدعو إليه .

وكان سبب هذا الجدل ظهور بعض الجماعات التي عاشت محنة السجن ، وذاقت ألواناً من التعذيب لم تعرفها معاقل بيزنطة القديمة ، فخرجوا بقناعة خاصة تقول : إن هؤلاء الذين يعذبونهم لا يمكن أن يكونوا مسلمين ، وأن من يقف وراءهم ، إنما هو الطاغوت ، وقالوا : إن الطاغوت كافر ، وبالتالي فإن جنده كفار ، وانتشرت هذه الفكرة وسرت في عقول الشباب الذين يرون ضياع الدين في أمتهم ، ويلمسون انتشار الفساد والفاحشة في المجتمع ، ويجدون الانحراف عن شريعة الله سبحانه وتعالى في التصور والشعور والعمل والسلوك .

وانبرى لهذه الفكرة علماء أفاضل أخذوا في الرد على هؤلاء لتصحيح الفهم ، ورد هؤلاء الشباب إلى الحق وهجر التطرف .

ونحن في بحثنا عن الطاغوت نجد أن له ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة ، فكان لابد من الوقوف على حقيقة كفره أو إيمانه ، يقول الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله : « وفرق كبير بين أن نكفر بالطاغوت فننكره ونجحده ونكذب بدعواه ولا نتبعه ولا نطيعه ، وبين أن نصدر عليه حكماً بأنه كافر ، فهذه قضية ، وتلك قضية أخرى متمايزة عنها ومختلفة ، والواجب عدم الخلط بين القضيتين » . ثم يقول : « أما

القول : أن من اتبع الطاغوت فهو كافر ، فتلك جملة تحتاج إلى تفسير وإيضاح » ، ويقول كذلك : « ونحن لا نعلم نصوصاً تؤيد ذلك وتحدد أن الطاغوت لا يسمى به إلا الإنسان المشرك الداعي إلى الضلال » .

فالأستاذ الهضيبي رحمه الله وقاف مع النصوص الشرعية ولذلك قال : « ونحن لا نعلم نصوصاً تؤيد ذلك » أي كون الطاغوت أو أتباعه تنطبق عليهم صفة الكفر ، فللشيخ عذره بأنه لم يجد النصوص التي تعارض وجهته .

ولكننا وجدنا أن الهضيبي لم يوفق في هذا الأمر من وجوه :

١ ــ عرّف الشيخ الهضيبي الطاغوت : « بأنه من الطغيان ، وهو كل ما زاد عن الحد المقرر له » . وهذا حق لا شيء فيه .
ثم قال :

« فإذا كان الطاغوت وثنا أو صنما فإننا ننكر أن يكون ذلك الوثن أو الصنم حقيقا بالتعظيم أو الإجلال . ويتعين أن نكون على يقين من أنه لا يضر ولا ينفع ، ويتعين علينا اجتنابه أي اجتناب تعظيمه وإجلاله وإقامة الشعائر له أو طلب البركة منه ، فمن وفقه الله لذلك فقد استوفى الأمر الوارد بالنصوص ، أما الحكم والاعتقاد بأن الصنم أو الوثن كافر . فهذا ما لا ذكر له من تلك النصوص بل إن الله عز وجل أعلمنا أن ذلك الصنم أو الوثن جماد وغير عاقل ولا مميز ولا مكلف ولا يُحكم عليه بكفر أو إسلام » .

وما ذهب إليه هنا لا نخالفه فيه ، لأن الطاغوت ، إذا كان صنماً أو شجراً أو مغارة أو سوى ذلك ، مما لا يعقل ، ولا يؤمر بفعل معروف أو ترك منكر ، لأنه مما لا يُكلف شرعاً كونه جماداً أو بدون عقل فإنا لا نتعب أنفسنا بالحكم عليه بكفر أو إيمان ، لأن الله إذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب ، ولذلك لم يكلف المجنون

ومن في حكمه ، فالأمر واضح ولا يحتاج إلى مزيد دليل ، فالصنم وما في حكمه لا يوصف بالكفر أو الإيمان ، وما نظن أن أحداً من المسلمين يصفه بذلك .

٢ ــ ثم ذهب رحمه الله ، يذكر أمثلة للطاغوت فقال :

« وقد يكون الطاغوت شريعة من قال بها ليس بكافر ، ولا بعاص ، بل محسن مأجور عند الله تعالى ، فلو أن عالماً مجتهداً ، ورعاً لم يصب وجه الحق في إحدى فتاويه وظهر لنا خطؤه واضحاً لائحاً لا لبس فيه ، فإن فتواه تكون شريعة طاغية من تبعها بمعنى الاتباع في الشرع الذي سبق أن أوضحناه . فهذا قد اتبع الطاغوت مادام قد ظهر له بطلانها . وذلك لا يغير شيئا من أن الذي أفتى بتلك الفتوى مجتهد محسن مأجور عند الله تعالى على اجتهاده ما قصد وجه الحق وإن أخطأه »[1] .

ولعمر الحق كيف عقد الأستاذ الهضيبي هذه المقارنة الغريبة العجيبة ، فجعل الفقيه المجتهد في علم أو دين إذا أخطأ في اجتهاده كان ذلك الاجتهاد طاغوتاً .

ومَنْ من المسلمين يقول بذلك ؟

وهو إنما ساق هذا المثال ليدلل على أن من معاني الطاغوتية المتجاوزة للحق هو هذا الضرب من الاجتهاد ، وبنى على ذلك بأنه لا يجوز أن نحكم بكفر الطاغوت .

نعم لا نحكم بكفر من كان طاغوتاً ، بهذا المعنى ، بل إنّنا لا نقر أصلاً أن هذا يندرج تحت مظلة الطاغوتية ، لأن الاجتهاد منصوص عليه بالشريعة ، وما قال بكفر المجتهد أو بكفر اجتهاده إذا أخطأ أحد من المسلمين ، وما أورده الأستاذ

*(١) يريد الهضيبي التعصب لرأي الإمام المجتهد المخطىء في اجتهاده، فهذا التعصب التقليدي فكرة قد تدخل في مفهوم الطاغوت بوجه ما. فالتعصب برأيه فكرة طاغوتية لكن اجتهاد المجتهد فيها ليس من الطغيان في شيء .

الهضيبي لا يرقى إلى مرتبة الدليل على أن الطاغوت ليس بكافر .

يقول إبن تيمية رحمه الله :

« ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتّباع الرسول ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر ، وقد اتقى الله ما استطاع ، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه ، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه »[1].

ونكتفي بهذا لأن المسألة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى مزيد من الأدلة .

أما الآن ، فنسوق الأدلة على كفر الطاغوت :

سبق أن أوضحنا معنى الطاغوت ، ثم أوردنا أقوال العلماء في مفهوم الطاغوت وأدلتهم في ذلك .

وذكرنا أن الطاغوت هو الشيطان أو الأصنام ، وقد يكون الكاهن أو الساحر ، وقد أطلقه بعض العلماء على حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، وذهب الكثيرون إلى أنه الحاكم بغير ما أنزل الله لعموم قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ومن حكم بغير ما أنزل الله فقد تجاوز الحد وطغى على الحق فهو طاغوت .

فالشيطان على ذلك هو رأس الطواغيت ، وهو أول طاغوت عرفه البشر ، قال الله تعالى عنه : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .[2]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ .[3]

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٦٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢

(٣) سورة البقرة آية ٣٤ .

وقال سبحانه كذلك في سورة الإسراء ﴿ **وكان الشيطان لربه كفوراً** ﴾ .

فهذه الآيات نص صريح في كفر إبليس ، ومادام النص موجوداً فلا حاجة بنا إلى غيره .

أما أولياء الشيطان فقد أمرنا الله تعالى بقتالهم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان** ﴾[1] فأمر الله للمؤمنين بقتال أولياء الشيطان يدل على أن أولياء الشيطان كافرون ، لأن جهاد المؤمنين لا يكون إلا للكافرين[2]، والشيطان لا يأمر الإنسان إلا بالكفر ، قال الله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر** ﴾[3] فهو إنما يأمر بالكفر وبالتالي فلا يرضى من أتباعه سوى الكفر ، والنص في القرآن صريح بكفر أولياء الشيطان ، **قال الله** تعالى : ﴿ **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾[4] فالشياطين أولياء لغير المؤمنين .

فلا مرية ولا ريب في أن الشيطان كافر ، وأن أتباعه كافرون كذلك وقد بسطنا الأدلة والحمدلله .

أما الصنم وهو من الطواغيت الذين خضعت لهم رقاب العرب قديماً ولفترة طويلة ، ومازالت الرقاب تخضع للأصنام إلى اليوم ، أمام الجندي المجهول في كل بلد ، أو أمام تماثيل العظماء والكبراء أهل الفجور والعصيان ، أو أمام القبور والمزارات والمشاهد حيث يتمسحون بأحجارها ، ويتباركون بحديدها .

هذه الأصنام الحجرية الطاغية لا نقول بأنها كافرة أو مؤمنة ، لأنه كما ذكرنا فهي لا تعقل ، ومن نزع الله منه العقل والتفكير لا نحكم عليه بكفر أو إيمان حتى ولو كان من البشر ، فكيف إذا كان من الجماد أو الحيوان .

(١) سورة النساء آية ٧٦ .

*(٢) ألم نؤمر بقتال البغاة من المؤمنين : «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» .

(٣) سورة الحشر آية ١٦ .

(٤) سورة الأعراف آية ٢٧ .

أما الكاهن فقد أخبرنا النبي ﷺ أنه في النار ، وذلك عندما جاءت إليه بعض الوفود ، فظنوا أنه ممن يزعم الاطلاع على الغيب ، فخبؤوا له شيئاً في أيديهم ، وقالوا له : أخبرنا ما هو ؟ فقال لهم : « إني لست بكاهن ، وإن الكاهن والكهانة والكهان في النار » .

أما السفهاء الذين يتوافدون إلى الكهان فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذين رواه مسلم فقال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وقد ذهب العلماء إلى القول بكفر الكاهن والساحر لتصريح النبي صلى الله عليه وسلم : أنهما ليسا من المسلمين وذلك في الحديث الذي رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً : « ليس منا من تطير أو تُطيرَ له ، أو تكهن أو تُكُهن له ، أو سحر أو سُحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » .

وإنما قيل بكفر الكاهن والعراف إن ادعى الغيب ، ومن يقول بمثل قولهما بادعاء علم الغيب ، ومعرفة المستقبل ، وكذلك من والاهما وصدقهما ، لأن ذلك ينافي الإيمان ، وفيه تكذيب لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ .

فمن رد حرفاً من القرآن ثبت صدقه فقد كفر وارتد ، ومن صدق الكاهن والعراف فقد كذّب الآية السابقة وردها .

والساحر من الطواغيت وقد كفره الله بنص القرآن فقال : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سُليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس**

السحر وما أنزل على الملكين ببابلَ هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾[1]

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ في الآية تبرئة لسليمان من الكفر ، ولم يتقدم أن أحداً نسبه إلى الكفر ، ولكن اليهود نسبته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر .

وقد سمى الله السحر كفراً بنص الآية بقوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ فسمى تعلم السحر كفرا ، وأن المتعلم له كافر ، ولذلك روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[2] وفي الحديث إشارة واضحة إلى اعتبار السحر صنو الشرك وقرينه ولذا قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله بكفر الساحر ، وإليه ذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابه « التوحيد » : أن الساحر يكفر وأنه يقتل ولا يستتاب ، وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتل الساحر ، ففي البخاري عن بجالة بن عبدة قال : « كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة » قال : « فقتلنا ثلاث سواحر » وصح في الأثر عن الموطأ أن حفصة رضي الله عنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت .

وبهذا وضحت البينة وبان الدليل بأن الساحر كافر يقتل بكفره .

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

وما أطلقه بعض العلماء على حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف بأنهما الطاغوت ، فإن ذلك مرده إلى أنهما كانا ينازعان الله في الحكم والتشريع ، فقد اشتهر أمرهما بين اليهود بأخذ الرشوة والحكم في أي قضية بغير ما أنزل الله في التوراة ، لأنهما كانا من اليهود ، وعلى ذلك كان يسارع إليهما أهل الباطل وأصحاب الأهواء ليحكما لهما بغير الحق .

قال الكلبي :« الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف ، وكانت اليهود يرجعون إليهما ، فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في إغواء الناس وإضلالهم »[1] .

وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف من اليهود الذين غيروا في دينهم وسجدوا لأصنام قريش ، وألّبوا المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصفة الكفر واضحة فيهما وبمن اتبّعهما .

أما الحاكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت موسوم بالكفر والفسوق والعصيان : قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ ﴿ **فأولئك هم الفاسقون** ﴾ ثلاث صفات له في كتاب الله سبحانه وتعالى يدل أقلها مذمة له أنه من الفاسقين ،

قال ابن كثير رحمه الله : « من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر »[2]

قال في فتح المجيد :

« قال الإمام مالك رحمه الله « الطاغوت ما عُبد من دون الله » .

---

(١) تفسير الرازي ج ٥ ص ١٣٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٨ .

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب عنه ، وجعل لله شريكا في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله تعالى به في قوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**) وقوله تعالى : ﴿ ٤ : ٦٥ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ فمن خالف ماأمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله ؛ أوطلب ذلك اتباعا لما يهواه ويريده فقد خلع رِبْقة الإسلام والإيمان من عنقه . وإن زعم أنه مؤمن » .

وقال ابن القيم رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٧ : ٦٥ **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** ﴾ :

« قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل ، وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ، ومطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو أعظم فساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع ؛ والدعوة له لا لغيره ؛ والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذاأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة . ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير اللهورسوله »[1] ا. هـ.

---

(١) الكلام منقول من كتاب فتح المجيد .

وقد بسطنا القول في كفر الحاكم بغير ما أنزل الله عند الحديث عنه في هذا الكتاب فليرجع إليه من طلب الزيادة .

والمتمعن في كتاب الله سبحانه وتعالى يدرك أن الطاغوت كافر ، وأن أتباعه لا يؤمنون بالله ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾[1]

قال قتادة : الظلمات الضلالة ، والنور الهدى .

ثم يقول الله في الآية نفسها : ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ويقول سبحانه كذلك : ﴿ **يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾[2] .

يقول القرطبي في جامع أحكام القرآن : « يخرجهم من ظلمات الكفر والجهالات إلى نور الإسلام والهدايات » .

فدل لفظ الظلمات على الكفر ، ودل لفظ النور على الإيمان ، ودل بأن الطاغوت يخرج الكفار من الهدى والإيمان إلى الكفر والضلال ، ودل على التعاضد والتعاون بين الطاغوت وبين الكافرين لقول الله في كتابه : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾[3] فالذي تولى إخراج الكفار من النور إلى الظلمات هو ولي لهم ، وهم أولياء له بصريح النص القرآني ، فكان هو منهم وبالتالي فهو كافر .

والآية صريحة بأن أتباع الطاغوت كفار ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم**

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٢) سورة المائدة آية ١٦ .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٣ .

الطاغوت ﴾ بل هي صريحة بكفر الأتباع والنص على كفرهم بقوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا** ﴾[1].

فالطاغوت ومن والاه كفار بنص القرآن الكريم وهدي السنة النبوية .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن الطاغوت صنماً أو كاهناً أو غيرها ، وما يدل على أن أتباع الطاغوت وأعوانه غالبهم من اليهود ، قال الله تعالى : ﴿ **ألم تَرَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ! أولئك لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** ﴾[2]

قال ابن إسحاق : « حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ـ أو عن سعيد ابن جبير ـ عن ابن عباس قال : « كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة ، حيي بن أخطب ، وسلام بن الحقيق ، وأبو رافع ، والربيع بن الحقيق ، وأبو عمار ، ووحوح بن عامر ، وهودة بن قيس . فأما وحوح وأبو عامر وهودة ، فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير . . . فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأول . فاسألوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم . فقالوا : دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه . فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب** ﴾ . . إلى قوله عز وجل : ﴿ **وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ . . وهذا لعن لهم ، وإخبار بأنه لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة . لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين . وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم . وقد أجابوهم ،وجاءوا معهم يوم الأحزاب ؛ حتى حفر

---

* (١) «الذين كفروا» مبتدأ وخبره جملة «أولياؤهم الطاغوت» أي : الكافرون يجعلون الطواغيت أولياء لهم . وهذا لا يفيد أن من يتخذ الطاغوت وليّا له كافر . ولو كان المراد هذا لكان ينبغي أن يكون التعبير والذين يتخذون الطواغيت أولياء كافرون أو نحو ذلك .

(٢) سورة النساء آية ٥١ .

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة الخندق،وكفى الله شرهم ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً** ﴾ .

ذهب عكرمة ألى أن الجبت والطاغوت صنمان كان المشركون يعبدونهما .

وقال عمر رضي الله عنه : **إن الجبت السحر ، وإن** الطاغوت : الشيطان .

وأما سعيد بن جبير فقد قال بأن الجبت الساحر ، وأن الطاغوت الكاهن .

ومهما قيل في معنى الجبت والطاغوت فإن عبادتهما والإيمان بهما كفر ، فقد كان اليهود يتبعون الباطل الذي يشرعه لهم السحرة والكهان والأحبار ، فهم أتباع الطاغوت وهي تلك الشرائع الطاغية التي شرعها لهم شياطينهم من الإنس والجن .

وقد جاءت الآية التالية بنص صريح بأن أتباع الطاغوت هم اليهود ، قال الله تعالى : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل** ﴾[1] يقول القرطبي : المراد هنا اليهود ، ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم : يا إخوة القردة والخنازير فنكّسوا رؤوسهم افتضاحا .

وفيهم يقول الشاعر :

فلعنة الله على اليهود إن اليهود إخوة القرود

وإن من أتباع الطاغوت وأعوانه الذين يزعمون كذبا أنهم من المؤمنين ، هؤلاء الذين قال الله عنهم : ﴿ **ألم تَرَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول**

(١) سورة المائدة آية ٦٠ .

رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾[1]

روى يزيد بن زُريع عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه علم أنه لايقبل الرشوة ، ودعا المنافق اليهودي إلى حكامهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم ، فلما اختلفا اجتمعا على أن يحكما كاهناً في جهينة ، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية .

وقد تعددت طرق هذه الرواية وجميعها تدور حول هذا المعنى ، وتدل على أن أتباع الطاغوت وأعوانه هم المنافقون واليهود .

فهؤلاء هم الطواغيت ، وهؤلاء هم أتباعهم ، بئس التابع ، وبئس المتبوع .

---

(١) سورة النساء آية ٦٠ ـ ٦١ .

obeikandl.com

خطر الطواغيت

إن الأمة التي تعطي قيادها للطواغيت تحكم على نفسها بالتدمير والإندثار ، فالطاغوت متجاوز لحد المعقول والمقبول ، وهو بالتالي متبع للهوى والضلال ، وما دخل الهوى والضلال في أمر إلا أفسده ، وما دخلا في أمة إلا أهلكاها .

ولذا فإن خطر الطواغيت قائم في الناس ، ومدمر لحضارتهم ولا يظنن بشر عاقل أن أمر الطواغيت قد مضى وانتهى بل العكس هو الصحيح ، فإنهم في عصرنا ربما كانوا أشد شوكة ، وأكثر قوة ، وأبلغ أثراً ، وأضل عقلاً وديناً ، وهم في جاهلية هي أشد من الجاهلية الأولى فالجاهلية الأولى ما كانت تملك وسائل العلم الحديث لتخدير العقل ، وقتل الشعور ، وتشويه التصور في القيم والمعتقدات ، وفي جميع مناحي الحياة .

وسنقف على دراسة مفصلة نوعا ما عن كل واحد من الطواغيت ، وذلك في الفصول القادمة إن شاء الله .